Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينبح، وخلفهما امرأة تحمل عصا: «حتة اللحمة يا أولاد الكلب».

حاول سعد أن يطمئنني: «لا تخف، إنهم أموات جميعاً، من الراقدين تحت التراب إلى الراقدين فوقها». وتبسمت حين رأيت فوق أحد الأضرحة دكاناً صغيراً لبيع المرطبات وزجاجة كوكاكولا على شاهد قبر! «حاجة سقعة يا بيه». ومن إحدى الزوايا لمحت ضريحاً ضخماً مغطى بسجادات من الآيات القرآنية. وعلى حائط مجاور أفيش سينمائي لنادية الجندي، ثم سمعت صوت عمرو دياب يصدح من إحدى المسجلات، مترافقاً مع صوت زمور إسعاف أو شرطة! وقد شعرت برعشة خطر خفيفة، بسبب تلك العجوز التي كانت ترقبني وهي تدخن وتسعل.

حاول بعض أحفاد العائلات الحفاظ على مقابر أجدادهم، فوضعوا حراساً على الأقفاص، لكن الحراس استغلوا ذلك وحولوا بعض الأقفاص إلى غرف مفروشة للإيجار شهرياً أو يومياً لمن يريد قضاء متعة عابرة أو لمطارد أو هارب من السجن.

ماذا عن ثقافة المقابر وتعبيراتها وإشاراتها؟ «وحده خيري شلبي الذي يقطن في المقابر كتب عن تجربته». كما يقول سعد ويردف: «ناهيك عن بعض أفلام السينما التي صورت السكان بشكل ساذج وسطحي ومضحك بالإضافة إلى عشرات التحقيقات الصحافية العابرة وخصوصاً الأجانب» فتساءلت: «ترى هل تتحول هذه المقابر إلى آثار سياحية... من يدري؟» ولكن المفاجيء أكثر هو أن تتحول المقابر إلى أحياء شعبية، والأحياء إلى ما يشبه المقابر المتراكمة فوق بعضها البعض. فمثلاً في منشية ناصر يقطن حوالى ثلاثة ملايين مواطن، ومعظمهم عاطلون من العمل أو أنهم يعملون في تجارة الحشيش أو في تجارة المزابل، التي يتم تفريغها، وتقسيمها،